

للإسلام ، فتحدثوا عن فضائل بعض الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وكثير غير هؤلاء مما مئنت به كتب الحديث ، فكان هذا داعياً للمؤرخين بعد ذلك لأن يتحدثوا هذا الحدو ، ويقفوا على فضائل التابعين ومن بعدهم .

وأقدم كتب الطبقات التي وصلت إلينا كتاب « الطبقات الكبرى » لابن سعد المعروف بكتاب الواقدي المتوفى سنة ٢٣٠ هـ .

وطبقات ابن سعد لم تسبق - في علمنا - إلا بطبقات أستاذه الواقدي ، وأكبر الظن أن الباعث على تأليفهما هو باعث الحديث ، ليعرف المسلمون من يصح الأخذ عنه ومن لا يصح .

ثم كان أول من صنف كتاباً - بعد طبقات ابن سعد - في تراجم المحدثين وتاريخ حياتهم هو : أبو زكريا يحيى بن معين ، المتوفى سنة ٢٣٣ هـ . وتبعه في ذلك أبو الحسن محمد بن عبد الله بن حيوة ، المتوفى سنة ٣٦٦ هـ .

وكان من نتائج اتساع الحركة العلمية وكثرة رواية الحديث أن رأى العلماء أنفسهم بين أصناف متعددة من الرواة .

وقد قام العلماء في هذا الباب بما يدعو إلى العجب ، فبحثوا عن كل راو وحلوه ، وتعددت الآراء المختلفة في التجريح والتعديل . فجمعت الأخبار في نقد المحدثين وبيان صادقهم من كاذبهم ، بل ذهب بهم الأمر إلى أبعد من ذلك « فما إن يظهر أحد بالعلم والمعرفة - ولو برواية حديث واحد أو خبر واحد - إلا يهجم عليه العلماء ويرحلون إليه يأخذون عنه ، ويعد العالم ظفراً كبيراً أن يعثر على رجل أو امرأة من هؤلاء لم يصل إليه غيره ، فيقيد عنه ما أخذ ويروى ماسمع ، وما إن يموت هذا المروى عنه الحديث أو الخبر ، أو من اشتهر بعلم أو معرفه حتى يتسابق المؤرخون إلى تدوين أصله ونسبه ، والبلاد التي تنقل فيها ، والشيوخ الذين أخذ عنهم ، والأحداث التي عرضت له في حياته ، وتاريخ وفاته^(١) . كما فعل البخاري . والنسائي والمذهبي وابن حجر وغيرهم .

(١) ضحى الإسلام ٣٥٢/٢ .